الصين التي انتهت الى مواقع الارتباط بالامبريالية والعداء لحركة التحرر الوطني في البلاد . تجربة فيتنام حيث تتخذ القوى الاقطاعية والبورجوازية الكومبرادورية والبيروقراطية المتبرجزة موقفا مع حكومة سايجون العميلة المرتبطة بالامبريالية ضد طموحات شعب فيتنام . تجربة الجزائر حيث اخذت الاقلية الطبقية الاقطاعية والبورجوازية الكبيرة الجزائرية موقفا مرتبطا بالاستعمار الفرنسي ومضادا لقضية الثورة الوطنية . ان هذه التجارب تضعنا أمام ظاهرة واضحة هي ارتباط النضال من اجل التحرر الوطني ضد الاستعمار والامبريالية بالنضال الطبقي ضد الطبقات الرجعية المرتبطة بالاستعمار او المهادنة له والمساومة معه على حساب متابعة انجاز عملية التحرر الوطني .

هذا يدفعنا الى القول الواضح ان الذي يحدد مواقف كل طبقة من الطبقات من قضايا التحرر الوطني ، وفي كل مرحلة من مراحل التحرر الوطني أيضا (اذ أن قضية التحرر لا تتم دفعة واحدة بل على مراحل) هي مصالح هذه الطبقات بالاصل ، مصالحها المادية والسياسية والاجتماعية حيث تقف الطبقات الاقطاعية والكومبرادورية والبيروقراطية العسكرية المتبرجزة باستمرار مع الاستعمار والامبريالية ، ضد شعوبها وضد حركات التحرر الوطني في بلدانها ، وتمثل دور الدركي في قمع حركة التحرر الوطني والثورة الوطنية الديمقراطية ودور الدركي ايضا في حماية المصالح الامبريالية في بلدانها . وهذا لا يعني انه ليس هناك استثناءات فردية من الطبقة الاقطاعية او البورجوازية ، يمكن ان تكتسب ثقافة ثورية ، وتتخذ موقفا وطنيا جذريا ، الا انها تبقى استثناءات فردية ، كما هي الحال مثلا بالنسبة الى بعض قادة حركة التحرر الوطني في لاوس وكمبوديا .

ولكن ما يجب ان نركز عليه بوضوح ان المسألة المطروحة في مرحلة التحرر الوطني ليست مسألة البرنامج الاجتماعي الطبقي ، بل الحاق الهزيمة بالعدو القومي والقوى المحلية المرتبطة به أو المتعايشة معه بحكم مصالحها الانانية التي تضعها فوق المصلحة الوطنية. وليس (كما يقال دائما) ان هناك من يريد ثورات اجتماعية في مرحلة التحرر الوطني وهناك من لا يريد ، لان طرحا كهذا اما طرح غبي يتعامى عن جميع وقائع التاريخ او طرح متغاب عن سبق اصرار ، وهذه جريمة تحايل يعاقب عليها القانون ، ان المسألة الاولى المطروحة على جدول اعمال حركة التحرر الوطني: من هي الطبقات التي تقف فعلا مع عملية التحرر الوطني وانجاز مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية ، ومن هي الطبقات المحلية التي تقف ضد حركة التحرر الوطني، ومع اعداء الثورة الوطنية بحكم مصالحها الطبقية . حيث توضح لنا تجارب التاريخ المعاصر بأن الطبقات الاقطاعية والكومبرادورية سرعان ما تتخلى عن مواقفها الوطنية اللفظية وتدخل عصر المساومة مع الثورة المضادة ، وتبيع حركة الجماهير الوطنية ، في اول الطريق ، وفي احسن الحالات في منتصف الطريق ، لصالح تحالف جديد مع الامبريالية ، ضد شعوبها ، ضد حل معضلات ثورتها الوطنية بينما الطبقات الوطنية : العمال .. الفلاحون الاجراء والفقراء .. البورجوازية الصغيرة .. قطاع من البورجوازية المتوسطة .. هذه طبقات لها مصلحة في الثورة الوطنية وانجاز مهماتها ، وتبرز الطبقة العاملة متحالفة مع الفلاحين الفقراء كأصلب الطبقات المناضلة من أجل الانجاز الشامل للتحرر الوطني الديمقراطي ، اذ ان قطاعات من البورجوازية المتوسطة والصغيرة اثناء النضال الوطني الطويل النفس ، يلتحق بعضها بالمعسكر المضاد للثورة الوطنية ، والبعض الاخر يحيد نفسه بانتظار نتائج الصراع ، بينما يلتحق القطاع الادنى بقضية الثورة ويربط مصيره بمصير الاكثرية الساحقة من حركة الشعب العمالية والفلاحية حتى النهاية ، لان هذه الطبقات لها مصلحة كاملة في التحرر الوطني ، وهي لن تخسر شيئا من نضالها ، بل تخسر قيودها فقط فالطبقات العاملة والفقيرة ثورية دائما ومسلحة بفكر ثوري دائم .

والمسألة الثنائية المطروحة في هذا السياق هي مسألة القيادة، التي تحتل موقفا مركزيا في مجموع العملية الوطنية والثورية ، لانه عندما نحدد الطبقة التي تقود العملية الوطنية ، وعندما نقول بأن قيادة العملية الوطنية ملقاة على عاتق الطبقات العاملة والفقيرة ، فذلك لان مصالح هذه الطبقات وفكرها هو الذي بامكانه ان يقود الثورة الوطنية الى نهايتها الظافرة دون مساومات مصيرية واستراتيجية وهو الذي يستطيع في كل مرحلة من المراحل ان يتبنى السياسة الوطنية